



المساجد العثمانية بولاية عين تموشنت: دراسة تاريخية أثرية

Ottoman Mosques in the Wilaya of Ain Témouchent: A Historical and Archaeological Study

مجاهدي إبراهيم*

جامعة أبو بكر بلقايد-تلمسان - (الجزائر)

البريد الإلكتروني المهني: brahim.medjahdi@univ-tlemcen.dz

تاريخ النشر
2025/12/01

تاريخ القبول
2025/10/23

تاريخ الإيداع
2025/06/26

الملخص: تهدف هذه الدراسة إلى إبراز الموروث الأثري المعماري بعين تموشنت خلال الفترة العثمانية، ومن أجل ذلك قمنا باختيار المساجد كنماذج بارزة تربط هذه المنطقة بإحدى الفترات الزاهية التي عاشتها الجزائر معماريا وثقافيا وعسكريا وحتى اقتصاديا، ومن جهة أخرى ويهدف الوصول إلى وضع تصور عام حول هذه الفكرة المتعلقة بغنى منطقة عين تموشنت بالعديد من المنشآت الأثرية المعمارية خلال الفترة العثمانية وفي مقامتها المساجد كما أشرنا سالفاً، وبعد رصد وحصر ما نُكر في المصادر وما يُداول على ألسنة الناس استطعنا الوصول إلى قائمة أولية تضم أكثر من أربعين مسجداً بمختلف مناطق عين تموشنت. نعتقد أنها كانت موجودة بالطبع خلال ذلك العهد، ولكن وللأسف يتعارض كل هذا مع ما نجده اليوم على أرض الواقع لسبب أو لآخر وأهم هذه الأسباب تهتمها لوقوع المنطقة أصلاً في مجال زلزالي نشيط من جهة ولقربها من البحر من جهة أخرى، ثم بسبب التغييرات والتشويهات التي سببها أثناء الاحتلال الفرنسي باعتبار المنطقة كانت ضمن النطاقات المفضلة لاستقطاب العائلات الأرستقراطية والنفاذة لخصوبة الأراضي وتوفر المياه بالمنطقة، لذا اخترنا بعض النماذج الباقية ليومنا هذا والعائدة للعهد العثماني انطلاقاً من دلائل وقرائن ملموسة ومأثية.

الكلمات المفتاحية: العمارة العثمانية؛ عين تموشنت؛ دراسة أثرية.

Abstract: This research paper sheds light on the architectural and archaeological heritage of Ain Témouchent during the Ottoman period. To achieve this objective, mosques are selected to be representative samples of the region's linkage with one of the Algerian prosperous periods in architecture, culture, military, and economic activities. On

* المؤلف المرسل

the other hand, with the interest of acquiring thorough knowledge about the architectural patrimony of Ain Témouchent—especially those mosques dating back to its Ottoman period—a detailed survey and documentation based on both written sources and local oral traditions was elaborated. Therefore, such a study provided a preliminary list of identified buildings; over forty mosques existed across various parts of Ain Témouchent during that time. Unfortunately, such historical richness contrasts the current reality represented in the disappearance and deterioration of several buildings for many reasons, including the location of the region in an active seismic zone and its proximity to the sea, the extensive alterations, and damage that took place during the French colonial period. Indeed, the area was quite appealing to aristocratic and influential families because of its fertile lands and abundant water. Therefore, this research paper focused on selected examples that survive into our era since the Ottoman Empire, founded upon verifiable physical and material evidence attesting to their actual origin.

Keywords: Ottoman architecture; Ain Témouchent; archaeological study.

مقدمة

في البداية نعتذر عن قلة الاهتمام العام بالفترة الإسلامية ومظاهر حضارتها وعمرانها في ولاية عين تموشنت. للأسف، الدراسات في هذا المجال ليست كثيرة، حيث يركز معظم الباحثين على الفترات القديمة، خاصة الرومانية، ثم ينتقلون مباشرة للحديث عن تاريخ الثورة في المنطقة، خصوصاً مظاهرات 11 ديسمبر 1960م التي بدأت شرارتها من عين تموشنت قبل يومين. من الواضح أن هذا يتعارض مع المعطيات التاريخية والجغرافية التي ذكرتها عدة مصادر، وأهمها تلك المتعلقة بأرشفول ولهاصة وتارقة وحمام بوحجر.

لقد أشارت المصادر والمراجع إلى كم هائل من المنشآت الدينية بمنطقة عين تموشنت بداية بالمساجد وصولاً إلى الأضرحة مروراً بالزوايا، وهذا نظير ما شهدته المنطقة من نشاط فكري وثقافي من جهة، ثم لكونها كانت مسرحاً لبعض الأحداث السياسية والعسكرية خاصة خلال العهد العثماني من جهة أخرى.

تهدف دراستنا إلى حصر بعض النماذج والعينات تموشنت لمساجد من مختلف مناطق عين تموشنت والمتمثلة أساساً في مسجدي سيدي ورياش والبوحميدي يريف ولهاصة وسيدي سعيد بوسط مدينة عين ترجع لفترة التواجد العثماني، لتتمحور إشكالية هذه الدراسة

بالضبط حول النمط المعماري والطرّاز الفني والتأصيل التاريخي لهذه المساجد استنادا إلى مختلف المناهج المستخدمة في ذلك كالمناهج الوصفية والمنهج التاريخي.

1. منطقة عين تموشنت خلال الفترة العثمانية

رغم قلة المصادر التي ذكرت المنطقة صراحة أو تلميحاً خاصة خلال الفترة العثمانية، إلا أنّ هذا لم يمنع من الإشارة إلى بعض ما أنشأ خلال هذه الفترة بالذات، سواء من طرف السكان المحليين أو من طرف حكام بايلك الغرب الجزائري، وهذا مرده من البداية إلى التوزع الصوفي والطّرقي وإلى الهجرات العلمية نحوها من طرف الفقهاء وشيوخ العلم، حيث يذكر الأستاذ حنفي هلايلي جنوب الولاية خلال تطرقه لقلعة دار الكمندار ومربط الفرسان بجبل تسالة الحافلين بالطراز الفني والمعماري العثماني (هلايلي، 2016، ص01).

أقحم الأستاذ ن. بودريالة في دراسته المتعلقة بالعائلات النافذة في الغرب الجزائري خلال العهد العثماني قبائل إقليم مهاجة ضمن آغاليك الزمالة والدواير، وأهم قبيلة مشكّة لهم هي عرب بني عامر المستقرين بجبل تسالة حتى وادي مكرة قرب قبة ولي الله الصالح سيدي بلعباس البوزيدي أولاً، قبل أن يزيد تواجدهم بإقليم عين تموشنت خلال الفترة العثمانية بعد تحرير وهران الثاني سنة 1792م ومنح أراضيهم التي كانوا يشغلونها بسهل ملاتة - عين الأربعاء ووادي الصباح وتامزوغة وعين تموشنت وحمام بوحجر - إلى القبائل المخزنية (BOYER, 1977, p55)، ورغم ذلك بقيت قبائل هذه المنطقة تحت سلطة الأتراك وخدمتهم، للإشارة فإنّ هناك الكثير من الفقهاء والأولياء الصالحين الذين ذاع صيتهم بالمنطقة خلال الفترة العثمانية يتقّمهم الولي الصالح سيدي البوزيدي صاحب القبة المشهورة بمقبرة المدينة، وقبة سيدي عبد القادر الجيلاني وغيرهما.

في الجهة الشمالية الغربية للولاية لم تنعم منطقة ولهاسة خلال أواخر الفترة الزيانية بالهدوء، فبرز عدة مرابطين كما كانوا يسمون لحماية الثغور الإسلامية من الاعتداءات

الصليبية، وهذا بأعالي القمم المطلة على السواحل ومن أمثلة ذلك سيدي رحمون وسيدي محمد المدني وسيدي أحمد الورداني وآخرون.

تأرجح الحكم بالمنطقة خلال هذه الفترة بالذات بين عدة دول، فقد دخلت في حكم الحفصيين بعدما غزى أبو عمرو الحفصي تلمسان سنة 1466م في المرة الأولى، ثم ثانيا عام 1505م، ثم الإشبان عام 1509م، قبل أن تتصوي تحت حكم الأمير الزياني عبد الله الذي حارب القائد العثماني حسن آغا سنة 1543م، ثم تحت حكم السعديين بالمغرب الأقصى خاصة بعد سيطرة ابنه الشريف محمد الحران سنة 1550م على تلمسان وأحوازها ووسع نفوذه حتى وادي الشلف، بقيت الأمور هكذا إلى أن زحف حسن بن خير الدين نحو تلمسان وأخرج السعديين من تلمسان ومناطق نفوذها كولهاصة وملاتة، وتنصيب الحسين بن عبد الله الثاني على عرش تلمسان وكان مواليا للأتراك إلى غاية خلع سنة 1554م وهي سنة سقوط الدولة الزيانية، إذ يشير مارمول كاريخال إلى ولهاصة تحت اسمها خلال تلك الفترة أرشكول -يقصد رشقون - قائلا: "... نظرا للكراهية التي يكنّها السكان للأتراك... تقمّ جيش الإشبان آتيا من أرشكول دون أن يعترضهم أحد..." (كاريخال، 1984، ص310).

يذكر الراهب لوتيليو معركة وقعت في منطقة سيدي يعقوب سنة 1532م بين سكان المنطقة والجنود الإشبان (لوتيليو، 1974م، ص16)، وحسب روني باسي فإن منطقة ولهاصة كانت أحد الأطراف المشاركة في عقد ميثاق الوحدة سنة 1548م تحت لواء الولي الصالح سيدي عبد الرحمان اليعقوبي للجهاد ضد العدو الصليبي الإشباني، هذا ولم تذكر المصادر أي أحداث أخرى متعلقة بالمنطقة في هذه الفترة عدا ما ذكرناه، والظاهر ربما أن هذا التجاهل من المؤرخين والجغرافيين راجع إلى كون سكان منطقة ولهاصة كانوا بين كماشتين من جهتين، الحامية الإشبانية بهنين أو الحكام الزيانيون الموالون للإشبان أحيانا من جهة، وبين الإشبان بوهران والقبائل الموالية لهم كبني عامر وبني شافع من جهة أخرى.

أضحت ولهافة بعد ذلك جزء من بايلك الغرب، وقد ترك الأتراك بصمتهم في المنطقة، من خلال تشجيعهم للحكام المحليين الموالين لهم بتشديد مختلف العماير، من أهم الأمثلة عن ذلك نجد الزاوية الجازولية بقرية طربان، ووضع القائد العثماني لمنطقة تلمسان محمد بن حمزة لتوابيت خشبية بعدة أضرحة مثل قبنا أولاد سيدي عمار بسيدي ورياش وقبة سيدي محمد المدني بالزوانيف وقبة سيدي يعقوب، كما أمر بزخرفة الجهة الداخلية لهذه القبة سنة 1725م، وفي أواخر العهد العثماني تأرجحت عشائر المنطقة بين التبعية للعثمانيين أحيانا وبين الحركات المناوئة للحكم العثماني كالدقاويين والتيجانيين أحيانا أخرى.

خارطة رقم 01: المعالم الأثرية بعين تموشنت



المصدر: نقلا عن مديرية السياحة لولاية عين تموشنت

2. مسجد سيدي ورياش بريف ولهاصة

أ. التّحديد الجغرافي للمسجد: يتوسط مسجد سيدي ورياش مركز البلدية التي سميت باسمه، ويقع وسط المقبرة المحاطة بسور والمتواجد مدخلها مقابل مسجد الإمام أشهب.

ب. التّوثيق التاريخي لإنشائه: أنشئ هذا المسجد من طرف الفقيه سيدي ورياش، وقد ذكرت ترجمة هذا الولي الصالح عند الإمام العشماوي في ثلاث نسخ مختلفة (العشماوي، 1961م، ص62)، ونجده في الشجرة العائلية لعرش أولاد ورياش المحفوظة بزاويتهم في سبدو، ويُلَف غموض كبير آخر حياته وخروجه إلى ولهاصة وسبب ذلك، على الرغم من أنّ بعض الشهادات الشفهية تذكر أنّ مردّ ذلك هو نزاعه مع عشيرته في سبدو ونفورهم نحو الولي الصالح سيدي الطاهر، ولعلّ ذكر هذه الشخصية لدى العشماوي المتوفى أواخر القرن 18م دليل على أنّ الولي الصالح عاش قبل هذه الفترة، أي خلال العهد العثماني.

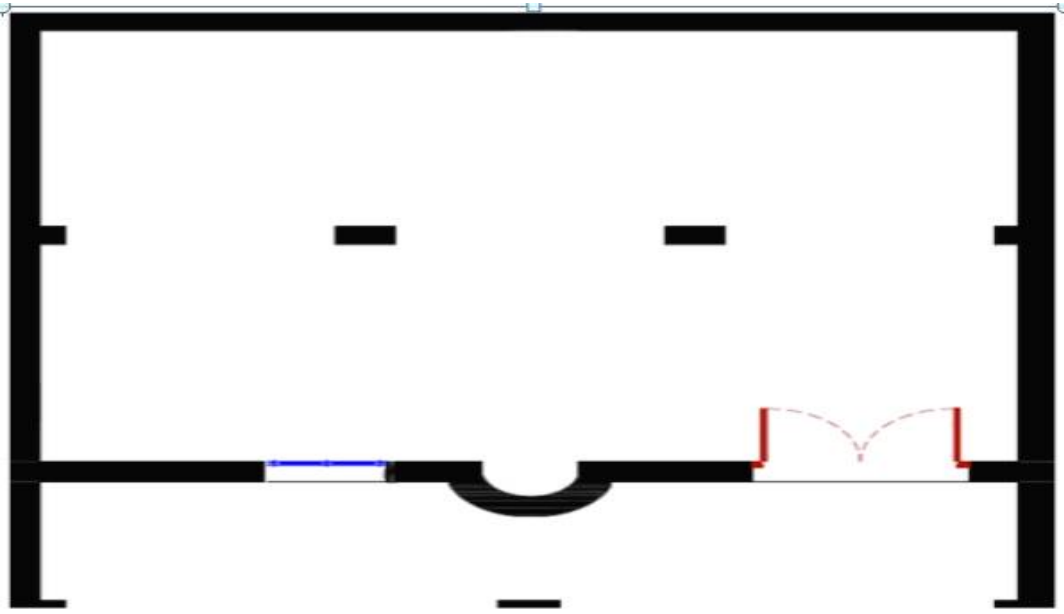
ت. الترجمة الشخصية لمنشئه: ابنتى المسجد الشيخ سيدي ورياش بناء على رؤية رأى فيها الفقيه المالكي الإمام أشهب، أجمعت المصادر والمراجع السابقة التّكر على ترجمة الولي الصالح سيدي ورياش، حيث جاء فيها بأنّه بن محمد بن إبراهيم بن محمد بن العباس بن أبي القاسم بن محمد بن علي بن موسى بن عيسى بن محمد بن عبد الله بن عبد الرّحمان بن يعلى بن عبد العلي بن أحمد بن محمد بن أعمر بن سليمان بن أحمد بن محمد بن إدريس الثاني بن إدريس الأول إلى آخر السلسلة الشريفة (العشماوي، 1961، ص61).

ث. الوصف المعماري: ينتمي هذا المسجد إلى الطراز القائم على بيت الصّلاة المسبوقة برواق مسقوف، حيث يتقدم هذا الأخير بيت الصّلاة من جهتها الشرقية.



صورة رقم 01: مسجد سيدي ورياش
المصدر: من تصوير الباحث

يطلّ الرواق على باحة المسجد عن طريق بائكة والتي هي في الأصل رواق منفتح
بمجموعة من العقود (الأقواس) سواء من جهة او من جهتين - مشكلة من ثلاث دعائم
تحمل السقف مباشرة حيث لا يرتكز عليها أي عقد.
تقسم هذه الدعائم الرواق إلى قسمين كبيرين طول كل منهما 04م، تأخذ الدعائتين
الجانبيتين شكلا مربعاً ضلعه 25سم، أما الدعامة الوسطى فهي مستطيلة طولها مضاعف
للدعامتين الجانبيتين ويقدر بـ 50سم.



شكل رقم 01: مخطط مسجد سيدي ورياش
المصدر: من إعداد الباحث

نلج إلى بيت الصلاة عبر مدخل فتح في جدارها الشرقي على يمين البروز الخارجي للمحراب بالنسبة للداخل لبيت الصلاة، يبلغ ارتفاعه 2.1 م ويقتر عرضه بـ 1.8 م، أما عن يسار بروز المحراب ففتحت نافذة ارتفاعها 0.6 م وعرضها 0.1 م، أخذت بيت الصلاة تصميمًا مستطيل الشكل ذات طول يقتر بـ 8.10 م و عرض يقتر بـ 6.6 م، وتتألف من أسكوبين موازيين لجدار القبلة عرض الأمامي حوالي 2.9 م والخلفي 3.2 م تقريبًا، وثلاث بلاطات عمودية على نفس الجدار يقتر عرضها بـ 2.1 م، وتتكون هذه البلاطات والأسكوبين -الاسكوب هو الرواق من بيت الصلاة الموازي لجدار القبلة، أما البلاطة فهي المتعامدة عليه - انطلاقًا من صف دعائم مستطيلة المسقط طولها 0.5 م وعرضها 0.25 م، تحدّ عن طريق بانكتين موازية لجدار القبلة حاملة عقودا متقاطعة-منكسرة-، ينحاز إلى يمين جدار القبلة قليلا المحراب المجوف والنصف دائري المسقط بعرض 0.8 م وعمق 0.54 م وارتفاع 2.10 م، تنتهي التجويفة في الأعلى بحنية ذات عقد موتور، وتشكل فتحة المحراب

بروزا نحو الخارج على شكل كتلة نصف دائرية الشكل، وتخلل الجدران الأربعة فتحات للتهوية وكوات مصممة أو مشكوات لوضع شموع الإضاءة.

3. النواة الأصلية لمسجد سيدي سعيد بمدينة عين تموشنت

أ. التّحديد الجغرافي للمسجد: يقع المسجد في حي سيدي سعيد الواقع بالجهة الشمالية الغربية للمدينة، وهذا على الضّفة الشماليّة لواد سنان، نصل إليه انطلاقاً من مجلس قضاء عين تموشنت باتجاه محطة السكة الحديدية ثم الانعطاف يمينا.

ب. التّوثيق التاريخي لإنشائه: إنّ الطّراز المعماري لمسجد سيدي سعيد ينساق نحو التّصميم القائم على بيت صلاة مسقوف بقبة مركزية محاطة بأربع قبيبات صغيرة ومئذنة مئمنة، وهو نفسه المشهور بالمساجد العثمانية في الجزائر، ولعلّ وقوع المسجد في موضع على شفا نهر بني سنان المشهور من جهة وببؤرة زلزالية معروفة هي الأخرى تجعل بقاءه على نفس هيئته الأولى صعباً إن لم نقل مستحيلاً، هذا ما يجعل المتكلمين أو المهتمين بتاريخ عين تموشنت يفترضون عادة تهّم المسجد أو سقوط أجزاء منه على مرّ التاريخ، ممّا يستدعي ترميمه أو تجديده أو أجزاء منه.

ذكر أبو الحسن علي بن محمّد الخطيب القرشي التّلمساني الذي عاش خلال القرن 11هـ/17-18م بأنّ قبيلة هبرة "ملقطين" وأفضلهم من الذين أعرفهم هم من جمعهم سعيد الهاللي في مسجده بسنان (القرشي، نسب زغبة ومنتهى أصلهم، د ت، ص03)، وهذا هو أحسن دليل على أنّ لسيدي سعيد الهاللي مسجد بواد سنان في عين تموشنت بـني خلال القرن 18م.

ت. الترجمة الشخصية لمنشئه: أشار أبو الحسن الخطيب إلى استتجاد سكان عين تموشنت عندما اشتدت بهم الحاجة وسّدت عليهم الأبواب في عهد البايات الأتراك بسيدي سعيد بن داوود الهاللي، الرّجل الحامل لكتاب الله واختياره مندوبا عنهم عند الباي حينما كان عمره سبعة وعشرون سنة، ويُعتقد أنّه ولد بعين تموشنت وتوفي بها سنة 1740م ودفن في

خلوته التي كان يتعبد بها تحت زاويته (القرشي، كتاب في أنساب تلمسان، د ت، ص 05)، ويعتقد كل من ب. حميدة وم. رقيق في كتابيهما "عين تموشنت: تاريخ الدم" و"عين تموشنت عبر العصور" على التوالي وغيرهما بأن الباي حسن بن موسى الباهي هو من أمر ببناء قبة.

ومن هنا يتضح لنا بأن منشئ هذا المسجد هو سيدي سعيد بن داود بن سعيد بن يحيى بن عثمان بن عمر بن مهدي بن عيسى بن عبد القوي بن حمدان بن مقدر بن مجاهر بن سويد بن عمر بن مالك بن زغبة.

ث. الوصف المعماري: نظرا لغياب دراسات سابقة أو حتى معطيات تصف لنا المسجد، اعتمدنا كما هو الحال في مثل هذه البحوث على العمل الميداني، ولكن ما يلفت الانتباه قبل ذلك هو بعض الصور التي تعود لفترات سابقة أقدمها هي تلك الصورة المرسومة بالفحم الكربوني والتي قام صاحبها الباحث زين الدين وضاح بتلوينها اعتمادا على بعض التطبيقات المتاحة في هذا المجال، ورغم تأسفنا لعدم وجود الرسم الأصلي عنده باعتبار أن الصورة كانت قد ضاعت نتيجة للأضرار التي تعرض لها منزلهم خلال زلزال عين تموشنت 1999 م، واحتفظ فقط بالصورة الرقمية في حافظة رقمية كما أشار إلينا هو بذلك إلا أنه أكد عدة مرات بأن ظهر الصورة كان يحتوي على تاريخ 1867م.



شكل رقم 02: أقدم رسم لمسجد سيدي سعيد يرجع لسنة 1867م

المصدر: www.abbassa.wordpress.com/photos-de-aintemouchent

تساهم هذه الصور أيها مساهمة في وصف المسجد من جهة وفي تتبع أهم التغيرات التي تعرض لها من جهة أخرى، فمثلا ما بين تلك الصورة المرسومة وبين صورة تم أخذها للمسجد سنة 1888 م نلاحظ عدة تغييرات مست الواجبة الرئيسية للمسجد.



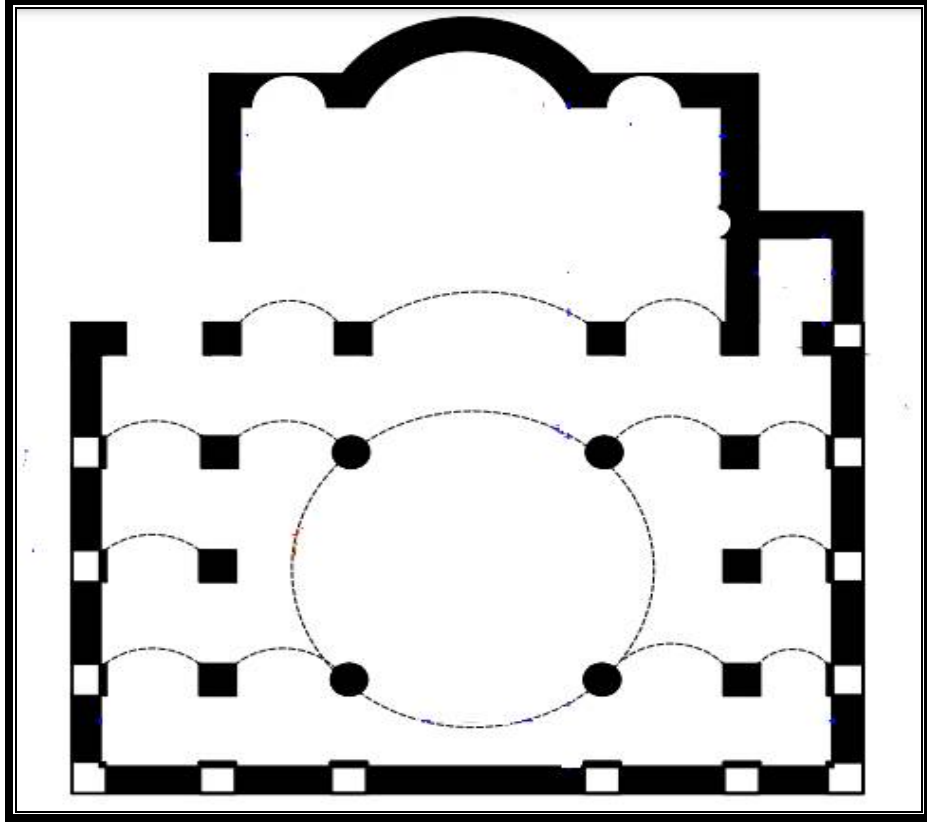
شكل رقم 03: رسم لمسجد سيدي سعيد سنة 1888م

المصدر: www.abbassa.wordpress.com/photos-de-aintemouchent

يحتوي مجمع سيدي سعيد على وحدتين الضريح والمسجد، يعلو هذا الأخير الأول ولعلّ ذلك راجع إلى بنائه على ربوة حجرية كانت تعلو المغارة التي كان يُعبد بها الولي الصالح قبل بنائه المسجد، فتاريخيا وجدت الخلوة ثم بُني فوقها المسجد وإن كنا نعتقد بأنه بُني في الأصل مدرسة أو زاوية ثم بُني الضريح بعد وفاة الولي الصالح.

سُبق المسجد ببائكة على نمط التصميم السابق المتحنت عنه والقائم على ثلاث مداخل معقودة محمولة على أربع دعائم، تمثل دورها في تغطية الضريح كلياً من جهة وتوفير نوع من البرودة للجانب القبلي من المسجد، ولا نعلم تاريخ بناء هذه البائكة لكن المؤكد أنها كانت موجودة قبل 1867 م بسنوات لأنها موجودة في الرسم المؤرخ بذلك، كما أننا نستبعد بناء

المحتل الفرنسي لمثل ذلك خلال السنوات الأولى لدخوله المنطقة على الأقل مما يجعلنا نرجح بنائها أواخر العهد العثماني.



شكل رقم 04: مخطط مسجد سيدي سعيد
المصدر: من إعداد الباحث

حاليا وبعد الزيادة التي مست المسجد بغرض تحويله إلى كنيسة خلال عهد الاحتلال فإنّ التصميم الأصلي للمسجد خلال العهد العثماني كان عبارة عن تصميم مربع يتوسطه فراغ مركزي مغطى بقبة مضلعة.

هلت هذه القبة بواسطة حنايا ركنية مرتكزة على عقود موزعة عن طريق أسطوانات مركزية، ويحيط بهذا الفراغ المركزي من الجهتين اليمنى واليسرى بلاطتين متعامدين على جدار القبلة لكل جهة من الجهات، بينما يتأخر عن الفراغ المركزي ويتقّمه أسكوب واحد

قبله وبعده موازيان لجدار القبلة، وقد تكونت هذه البلاطات المتعامدة والأساكيب المتوازية عن طريق دعائم مربعة مستقلة وأخرى مدمجة في الجدران، لنحصل في الأخير على تصميم قوامه خمس بلاطات متعامدة على جدار القبلة أوسطها هو أوسعها مشكلا مجازا قاطعا وأربعة أساكيب متوازية مع جدار القبلة، وتحتل المئذنة الركن المضلعة الركن الجنوبي الغربي.

4. مسجد البوحميدي بدوار الهداهدة

أ. التّحديد الجغرافي للمسجد: يقع المسجد بمدخل قرية الهداهدة أو قرية بوجرة كما تسمّى، ضمن مجمّع يضمّ ثلاث مساجد تعود لفترات تاريخية مختلفة، المسجد الجديد الذي بُني قبل 20 سنة والمسجد العتيق الذي يعود لفترة الاحتلال الفرنسي وبالضبط لما بين سنتي 1886 و1900م والمسجد الأثري الذي يعود للعهد العثماني، ونلج لمجموعة المساجد هذه عبر مدخل واحد فتّح في الطّريق الرئيسي للقرية والمؤتّى إلى شاطئ الوردانية.

ب. التّوثيق التاريخي لإنشائه: يرتبط هذا المسجد ارتباطا وثيقا بشخصية البوحميدي الولهاصي، ويعود ذلك إلى كون هذا الأخير قد درس بهذا المسجد قبل بلوغه سنّ العاشرة وهو الذي ولد سنة 1812م، كما أدخل القائد البوحميدي عدّة تعديلات، ويرى شارل أندري جوليان المؤرخ الفرنسي الشهير بأنّ البوحميدي الولهاصي درس بالمسجد الذي أنشأه والده (Julien, 1989, p183) وعليه فمهما كان التّاريخ الذي بُني فيه فلا يعدو أن يكون خلال العهد العثماني، إذ أنّه كان موجودا سنة 1830م لما قام الباي حسن الباهي هذه السّنة بتعيين الفقيه عبد القادر بن يوسف بن محمد بن عبد القادر بن علي بن يوسف بن محمد بن يوسف بن عبد الرحمان القصري الفاسي المتوفى عام 1007هـ إماما به وضلّ على تلك الحال إلى وفاته سنة 1845م دفن بالمسجد (مجاهدي، 2022، ص124).

ت. الترجمة الشخصية لمنشئه: أنشأ المسجد حسب ش. جوليان والد القائد البوحميدي الولهاسي، ولعدم توفر معلومات عن هذا الوالد ولقيام ابنه فيما بعد بتجديد المسجد وإدخال عدة تغييرات عليه، ارتأينا إعطاء لمحة عن الابن البوحميدي الولهاسي.

فمحمّد أبو عبد الله البوحميدي مرابط من ولهاسة، وُلد سنة 1227هـ/1812م، وقيل 1226هـ/1811م بأحد مداشر ولهاسة، وكما جرت عادة صغار ذاك الزمان فقد تعلم مبادئ الكتابة والقراءة في كنف العائلة، وكذا حفظ القرآن الكريم في المسجد الأثري الباقي ليومنا هذا بمدشر الهداهدة، ويسمى باسمه "مسجد البوحميدي"، وتدرّج في علوم الفقه والشريعة والتفسير حتّى اشتهر فيهما، زد على هذا كلاًّ هوايته للفروسية ومختلف فنون القتال (سعد الله، 1990، ج08، ص207)، حتّى تصرّهما في المنطقة، يُعتقد أنّه التقى مع الأمير عبد القادر في وهران أثناء دراسته هناك (حرب، 1983، ج02، ص51)

ث. الوصف المعماري: يتألف المسجد من بيت الصلاة يتّكّمها رواق أمامي مسقوف موازي للجدار الشرقي القبلي لبيت الصلاة، بُني النصف الأيمن للرواق بجدار توسطته نافذة مستطيلة الشكل عرضها 0.4م وارتفاعها 0.71م، في حين قسّم النصف الأيسر المتبقي بواسطة دعامتين إلى ثلاثة مداخل، أوسطهما عرضه 1.98م والآخران عرضهما 0.1م، تم تسقيف الرواق بسقف قوامه ملاط من التربة الجيرية وبعض المثبتات الطبيعية النباتية والحيوانية، محمولة على طبقة من القصب العمودي على الرواق، وتمّ حمل القصب على عوارض خشبية موازية للرواق المتقدم مدعومة بأوتاد خشبية، وهذا التنظيم التسقيفي للرواق هو نفسه الذي يغطي كامل المسجد، وشكّلت فتحة المحراب بروزاً خارجياً بالجدار القبلي منتصف الرواق على شكل كتلة مربعة الشكل مقببة من أعلى، وفتح بالجانب الأيمن لهذا البروز نافذة خشبية من مصراع واحد ارتفاعها 0.8م وعرضها 0.56م، في حين فتح على يساره المدخل المرتفع بـ 2.1م وعرضه 1.1م، نلج من خلاله لبيت الصلاة التي جاء تصميمها مستطيل الشكل، يبلغ طوله 8.10م وعرضه 0.5م.



صورة رقم 02: مسجد البوحميدي الولهاصي
المصدر: من تصوير الباحث

تتألف هذه الأخيرة من أسكوبين موازيين لجدار القبلة عرض الأمامي 2.8م والخلفي 2.2م، وأربع بلاطات عمودية على نفس الجدار عرضها 0.2م، وتتكون هذه البلاطات والأسكوبين بواسطة صف من الدعامات مربعة المسقط عرضها 0.5م، تسير بموازاة جدار القبلة وتحمل عقودا موتورة أو منخفضة، يتوسط المحراب جدار القبلة، وهو مجوف ومستطيل المسقط، عرضه 0.1م وعمقه 0.42م وارتفاعه 2.10م، فتحت فيه نافذة صغيرة للإضاءة والتهوية، تنتهي تجويفته في الأعلى بحنية ذات عقد نصف دائري، وفتح بينه وبين المدخل فتحة صغيرة أخرى، وتخلل الجدار الخلفي عدة كوات مصمطة أو مشكوات لوضع شموع الإضاءة، وضع منبره الخشبي في القسم الخلفي المحصور بالبلاطة الأولى يسار الداخل، وهو نفسه المكان الذي فيه قبر العالم سيدي علي بن يوسف، أُخرج من سقف الرواق أنابيب بلاستيكية لتصريف الماء، كما تشير إلى أن الجانب الشمالي من الرواق فتح فيه باب خشبي مؤدي إلى مقصورة المسجد المستطيلة، وهذه الأخيرة يوجد بها قبر محدد بقطع من الآجر يقال أنها لأحد مقامي زاوية سيدي الجازولي.

5. خاتمة

تغيب المعطيات الواردة عن مساجد منطقة عين تموشنت وأحوالها خلال العهد العثماني إلا بعض الشذرات المتفرقة هنا وهناك، والتي تجعل من تكوين رصيد تاريخي وجغرافي وحضاري عن مساجد المنطقة ممكنا إذا تم استغلالها أحسن استغلال، ولا يمكننا أن ننكر أن عدة شخصيات صوفية قد لعبت دورا هاما حتى أصبحت المفتاح الأساسي في هذه العملية.

لا اختلاف بين الباحثين والمهتمين بالشأن المعماري خاصة خلال الفترة العثمانية على احتضان منطقة عين تموشنت للعديد من المنشآت الدينية المنتشرة عبر ربوع مدنه وحواضره من جهة وبين أطراف أريافه وباديته من جهة أخرى، إلا أن المثير للانتباه هو قلة التوثيق والتأليف حول هذه المنشآت مقارنة بنظيراتها شرقا وغربا، ولعل دافع ذلك كله راجع إلى اختلاف المعطيات المناخية والتضاريس الجغرافية أولا، ثم تأثر عمارة هذه المنطقة بمثلتها المغربية والأندلسية ثانيا.

والأهم من ذلك عدم استقرار الأوضاع الأمنية والسياسية بهذه الجهة من الإيالة طول فترة التواجد العثماني بها، دون إهمال ارتباط الإنشاء النهائي لهذه المباني بما يتوفر عليه البايك من مواد محلية محدودة أو من القلة القليلة للعناصر المستوردة من الخارج أو حتى بالاعتماد على المكونات الأساسية للمنشآت المعمارية السابقة لتلك الفترة.

6. قائمة المراجع:

المراجع باللغة العربية:

- البوشخي، م. ب. (2013). أولاد سيدي الشيخ الشارقة والغربة: التصوف والجهاد والسياسة. وجدة: مطبعة أطلال وجدة.
- حرب، أ. (1983). التاريخ العسكري والإداري للأمير عبد القادر الجزائري. الجزائر: الشركة الوطنية للنشر والتوزيع.
- سعد الله، أ. أ. (1990). أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، ط03. لبنان: دار الغرب الإسلامي.

- العشماوي، أ. (1961). السلسلة الوافية والياقوتة الصافية في إسهاب أهل البيت المطهر، الكتاب الثاني، . تلمسان: المطبعة الخلدونية.
- عوفي، ع. أ. (2017). صناعة فهرسة المخطوطات في الجزائر: من 1245هـ/1830م إلى 1431هـ/2010م. الجزائر: منشورات المجلس الأعلى للغة العربية.
- القرشي، أ. أ. (د. ت. (كتاب في أنساب تلمسان. العاصمة، تحت رقم: 3881: مخطوط محفوظ بالمكتبة الوطنية الحامة.
- القرشي، أ. أ. (د. ت. (نسب زغبة ومنتهى أصلهم، وهران، تحت رقم: 771، رمزها: R.A136: مخطوط محفوظ بالمكتبة البلدية التابعة للمتحف الوطني احمد زبانة.
- كارخال، م. (1984). إفريقيا. ح. م. وآخرون (Éd.). الرباط: مكتبة المعارف.
- لوتيليو، أ. (1974). المعالم العشرون لغرب وهران. س. ماحي (Trad.). وهران: دار مالك بن نبي.
- مجاهدي، إ. (2022). مسجد البوحميدي الولهاسي بمنطقة ولهاسة الساحلية: دراسة أثرية. مجلة العلوم وآفاق المعارف. 120-133, 01(02),
- هلال، ع. (1992). مسودة فهرس القائمة البيبليوغرافية لعبد الغني أحمد بيوض الخاصة بالمخطوطات التاريخية: تابع لفهرس فابيون، ملحق 04. الملتقى المغاربي الأول حول المصادر والمراجع العربية لتاريخ الجزائر 1830-1962م. الجزائر.
- هلايلي، ح. (2016). مدينة سيدي بلعباس: النشأة والتاريخ. الملتقى الدولي حول: المدينة والتنمية المستدامة.

المراجع باللغة الأجنبية:

- Barbier, M. J. (1885). Les Voyages A la Recherche de la Mission Grevaux : Cartographie. *Bulletin de la société de géographie l'Est*, 622-630.
- BOYER, P. (1977). Historique des Béni Amer d'Oranie : des origines au Senatus Consulte. *Revue de l'Occident musulman et de la Méditerranée*(24), 26-60.
- Cazes, A. (1935). fetes du Marabout Sidi El Baroudi. *Oran-Matin: grand quotidien regional d'informaion*(1388), 07-08.
- Julien, C. A. (1989). *Histoire de l'Algérie contemporaine conquête et colonisation (1827-1871)*. Paris: éd PUF.